القصص

من أساطير الإغريق

أدونيس

للأستاذ دريني خشبة

كان جميلاً كالكأس المُترعة . وجهٌ أبيض كالجُبب ، ثم تَتدفّق الخمر في دمه ، وتكبن في عينيه ، وتَتثال على لسانه .

رأته ڤينوس يستحم في بحيرة مزهرة ، فوقفت تنظر إلى هذا التمثال من بلّور ، يسبح في لُجة من لُجَيْن !

ولمحها الغلام فخجل واستحيا ، وطفق يخصف عليه من أوراق اللوتس . . . . ولكن الحياء ورّد وجنتيه ، وصبغ خدّيه ، وفترّ ناظريه ، وتصبّب في شفتيه فاحمرّتا ! وبذلك أصبح فتنةً تملأ البحيرة ، وعجباً يشيع في الماء

وسبح إلى الشاطئ المقابل ؛ بيد أن ڤينوس كانت عنده قبل أن يبلغه هو ، فانثنى يريد الشاطئ الآخر ، فكانت ڤينوس عنده كذلك ؛ فارتد يحسب أنه يسبقها إلى الشاطئ المقابل كرةً أخرى ، ولكن الآلهة المنيدة كانت تسابق الوهم في الوصول إلى أحد الشاطئين ؛ فلما نال الجهد من أدونيس لم ير بُدًّا من البروز إلى البر ، ولكن من أمر هذه الغادة التي تهاجه بحبها وهو لا يعرف من هي ـ ما يكون !

ـ « أدونيس . . . . أليس كذلك ؟ »

ـ « ؟ . . . . . »

ـ « ألا تتكلم ؟ . . . »

وكانت قطرات الماء البلورية تنحدر على جسمه الرشيق ، فمن يدري ؟ أهي من ماء البحيرة أم من ماء الخجل ! . . . .

ـ « تكلم يا أدونيس ! ألا تعرف من أنا ؟ !. . . »

ـ « ؟ ؟ . . . . »

ـ « أنا التي سجد عند إخمَصَيْها مارسُ الجبار ! لقد ألقى سلاحه لدى النظرة الأولى التي زلزلت بها أركان قلبه ! ألا تصدق ؟ أدونيس ؟ ! . . . . »

ـ « أرجوك . . . إن رفاقي ينتظرونني ، ونحن جميعاً نتخذ أهبتنا للصيد . . . . »

ـ « صيد ؟ . . . . وماذا تصيدون في هذه البرّيّة الموحشة ؟ . . . . »

ـ « الخنازير يا غادة . . . إنها متوحشة جداً . . . »

ـ « وهي خطرة أيضاً ، وكل يوم لها ضحايا . . . أدونيس ! ألست ترى إلى جمالك الفينان ! ألا تشفق عليه أن يصيبه سَفْعٌ من شمس هذه البرية المحرقة ؟ ألا تقلع عن صيد الخنازير القتالة ؟ . . . تكلم ! لا تصمت هكذا ! ؟ »

ـ « أرجوك ! ؟ »

ـ « ترجوني ؟ أنا التي أرجوك يا حبيبي ! »

ـ « . . . . . ؟ ؟ . . . . . »

ـ « أراك ارتبكت إذ دعوتك حبيبي ؟ وَيْ ! ما للحياء يصبغك بأرجوانه هكذا يا أدونيس ؟ تعال . . . هات قُبلة ! »

ـ « لا . . . لن يكون شيء من هذا ! اسمعي ! ها هي ذي سلوقياتي تنبح ولا بد أن أسرع إليها . . . دعيني . . . دعيني ! »

ـ « لن أدعك ، ولو استجمعت شبابك كله وريعانك ما استطعت أن تفلت من ذراعيّ يا حبيبي ! . . . . . هات قبلة قلت لك ! . . . . . »

ـ « . . . . . ؟ ؟ . . . . . »

ـ « إذن أنال بالقوة كل ما أشتهي ! سأحرق شفتيك الباردتين بشفتيّ المشتعلتين ! »

- « أ ... ر ... جوك ... أوه.... حـ ... بك ... »

- « فمك جميل شهي ، ولكن خديك جميلان كذلك . . . ألف قبلة على خديك وعارضيك أيها الغلام الفتان ! . . . »

- « . . . . . . ؟ ؟ . . . . . . »

- « أنفاسك تتضوّع من فمك الرقيق ، وأنفك الدقيق ؛ فهل فيك حديقة من بنفسج ؟ . . . »

- « أر ... جوك ... كفى ... سلوقياتي تنبح ، ولابد أن أذهب ! . . . »

- « تذهب ؟ ولمن تترك هذا الصدر الهافّ الذي يضمك ؟ حقاً أنت غرير ! . . . »

- « أرجوك . . . قلت لك ! . . . »

- « كل هذه القبل أغمر بطوفانها فمك ، ولا تحييها بقبلة ؟ ... قبّلني ! . . . »

- « لا . . . لا أقدر . . . ارسلي ذراعيك عن عنقي . . . »

- « أنت لا تقدر ؟ آه ياساذج ؟ إنني لن أفلتك مادمت تتباله عليّ ! . . . »

- « أرجوك ، دعيني أذهب ! أوه . . . »

- « قبّلني قلت لك ! لن يقهر كبريائي فتى غرير مثلك ! إذا قبلتني أرسلتك ! . . . »

- « أقبلك ؟ »

- « أجل ، قبلني يا أدونيس ! »

- « أقبلك كيف ؟ »

- « هكذا ياصغيري . . . . . . »

- « . . . ؟ . . . ؟ . . . دعيني إذن ! »

***

وانتشت ربة الجمال بقبلة أدونيس اليافع ، فارتجفت ارتجافة هائلة ، وخرّت إلى الأرض كأنما أغشي عليها ؛ وارتبك الفتى الذي لم يألف مثل هذا الموقف النادر من مواقف الحب ، فأنف أن يغادر المكان قبل أن يعالج الغادة حتى تصحو ، ثم يذهب إلى صيده بعد . ولكنه لم يدر ماذا يفعل ؛ وعلى كل فقد طفق يدلك قدميها ، وربت على صدرها ، وعر بيديه الناعمتين على خديها وجبينها ، فلما لم تُفق ، أهوى على فمها الحلو يلثمه . . . ورد إليه دينه من القبل !

وكانت ڤينوس الخبيثة تحس وتصمت . . . ولا تأتي بحركة قد تطير بهذه الأحلام السعيدة التي تطيف بها ، وتتنزل من السماء الصافية عليها ، ألم تكن تضرع اليه من أجل قبلة واحدة ؟ فكيف بها تطرد هذه العشرات والعشرات من القُبل ؟ !

ولم تطق ڤينوس . . .

فڤينوس ربة ولكنها هلوك ! لقد طوقت أدونيس بذراعيها ، ثم أمطرت فمه الحريّ ، ووجهه المطريّ ، آلافاً من القبل العِذاب ، والنولات الرطاب (1)

حدثته عن الحب بلسان ينفث السحر ، وعينين تتقدان اشتهاء ، ولكنه كان يصم أذنيه ويُغلّق أبواب قلبه . وضمته بحرارة وعنفوان إلى ثديها ، فما زادته إلا شموساً وعناداً . . .

قالت له : « ألا تُقبل عليّ إلا ميتة يا أدونيس ؟ أيسرك أن أقضي نحبي إذن ؟ أ لست أعدل عندك خنزيراً برياً ؟ أ كلما خلعت عليك شبابي ونضرتي وحبي ألقيت بها في تراب كبريائك غير آبه لدموعي وتوسلاتي ؟ افتح قلبك للحب ياصغيري !!... »

ولكن أدونيس يعبس عبوسة محنقة ويقول لها : « أهذا كله عندك هو الحب ؟ . . »

فتنظر في عينيه الساخرتين نظرة تستشف بها ما في قرارة نفسه وتسأله : « إذن ماهو يا أدونيس ؟ »

وينفجر الفتى بالحقيقة المرة فيقول لها : « إن كنت تجهلين ماهو ، فالحب أجل من هذا وأقدس ياغادة . . . . . . إنك قد أسلمت جسمك للشهوة تصهره ، وروحك للغفلة تحرقها وتذهب بها شعاعاً ... دعيني أذهب إذن ... دعيني ... سلوقياتي تنبح

---

(1) لانستطيع متابعة الموقف ، ولكنا نثبت هنا أسطراً من شكسبير الذى لم نعرف فيه تفحشا ، فى وصف ما كان بينهما — وذلك من قصته الخالدة Venus and Adonais (مجموعة وارد ولوك ص ١٥٢٤)

And on his neck her yoking arms she throws:
She sinketh down, still hanging by his neck,
He on her belly falls, she on her back.
Now is she in the very lists of love,
Her champion mounted for the hot encounter:
All is imaginary she doth prove,
He will not manage her, altheugh he mount her.. erc...

والقصة رائعة ، وبها أكثر من ثلثمائة بيت فى وصف القبل وحدها ، ومن لم يقرأها لم يعرف شكسبير القصاص

ولا بد أن أذهب اليها . . . . »

* * *

وكأن ثلجاً ذاب فى أعصاب ڤينوس عند ما سمعت أدونيس ينتهرها ويعيرها ، فتقلَّص ذراعاها ، وفترت نفسها ، وخمدت فى قلبها تلك الشهوة الملحة التى سلطت عليها تعذيبها وتضنيها ... واستطاع الفتى بجهد بسيط أن يتخلص من أسرها ، فانطلق يعدو كالظليم إلى سلوقياته التى كانت تناوش خنزيراً كبيراً بادى النواجذ بارز الأنياب .

وجلست ڤينوس تنظر إلى أدونيس يعدو ، وتجتر كلماته وتتعذب . . .

وغفت إغفاءة قصيرة ، ولكنها استيقظت فجأة على صرخة راجفة من جهة الشرق ، حيث كان فتاها الحبيب يتلهى بالصيد ، فهبت مُروَّعة ، لأن الصوت كان بصوت أدونيس أشبه ، وانطلقت تعدو حتى كانت عنده . . .

يا للهول ! !

أدونيس مضرج بدمه ، وعيناه مستسلمتان للموت [1] ، وسلوقياته تبكى حوله ؟ ! لقد انقض عليه الخنزير الضارى فمزّق لحم الفخذة ، وسرى فى الدم سم الكَلَب !

ووقفت ڤينوس ذاهلة تنظر إلى حبيبها الصغير ، ثم أهوت على فمه تقبله وترشفه وتبكى . . . ثم أسندت الرأس الذابل إلى صدرها ، وجعلت تقول :

« ألم يكن حباً حبي يا أدونيس ؟! ياللقضاء ؟! كنت أعرف هذه النهاية ، وكنت أشفق عليك منها ، ولذا كنت أتشبث بك ، وأحاول أن أنسيك بقبلى ودموعى خنازير هذه البرية ، ولكنك قلت إن حبى شهوة ، وصبابتى فلة ، فجنيت على نفسك وعليَّ ! ! أوه ! يالبرودة الموت ؟ أدونيس ؟ أدونيس ؟ رُدَّ علىّ يا حبيبى ! لقد حسبتنى غادة ! أنا ڤينوس أكلك فردّ على . . . آه . . . »

وألقت به على الكلأ السندسى [2] ، وانطلقت تبكى وتنتحب ، حتى كانت عند عرش الأولب فقالت تكلم رب الأرباب زيوس العظيم :

ـ « أدونيس يا أبى ! ! »

ـ « ماله ؟ . . . »

ـ « قضى . . . قتله الخنزير . . . »

ـ « ومالك مذعورة هكذا ؟ . . . »

ـ « مذعورة ؟ ! وحقك إن لم تأمر برده إلى الحياة الدنيا لأذهبن معه إلى هيدز ! ! »

فوقف إلّه كان بجلس قريباً من المدة وقال : « تذهبين إلى هيدز ؟ ! يالهول ! والجمال والحب ؟ أيذهبان فى إثرك إلى دار الموتى ؟ وهذه الدنيا يا ڤينوس ؟ »

ـ « هذه الدنيا تنعى من بناها ... تخرب ... لا زهر ... لا شفق ... لا طير ... لا موسيقى ... لا خمر ... لا حب ... لا حنين ... لا غزل ... لن تكون دنيا كم شيئاً إذا ذهبت إلى هيدز مع حبيبى أدونيس ! ! »

فسجد الآله الذى تكلم أمام زيوس ، ثم نهض وقال له :

ـ « أنا بلسان الآلهة أضرع إلى مولاى أن يلبى طلبة ڤينوس ربة الحب . . .

فتبسم إلّه خبيث كان قريباً منه ، وغمز إليه وقال :

ـ « وربة الجمال يا ابن العم ! ! »

* * *

وأرسل زيوس العظيم إلى أخيه ... بلوتو ... إلّه هيدز ، يرجوه عن أدونيس ويستأذنه فيه ؛ ولكن بلوتو كان أحرص على الجمال من سكان هذه الحياة الدنيا ، فأبى أن يلبى رجاء أخيه ، فألح عليه ، فلم يقبل . . .

ثم اتفق الاخوان ، زيوس وبلوتو ، على أن يجملا حياة أدونيس مناصفة ، فيقضى ستة أشهر فى هيدز ، أشهر الخريف والشتاء ، وستة أشهر فى الدنيا ، حيث تأخذ زخرفها فى الربيع وتؤتى أكلها فى الصيف ! !

ولما لقيت ڤينوس حبيبها عائداً أدراجه من دار الفناء قالت له : « أتستطيع اليوم تعريف الحب ؟ » . فقال أدونيس : « هاتى قبلة يا ڤينوس . . . هاتى قبلة . ... هاتى ألف قبلة . . . »

دريني خشبة

(١) اقرأ صوناتة شلى (أدونيس) فى كيتس . طبعة أكسفورد ص ٤٢٥

(٢) ذكر شاكسبير أن أدونيس تحول زهرة بيضاء فيها بقع كالدم ، وهذا يخالف اطراد القصة حسب الأسطورة اليونانية

قلعـــة الرمل

بقلم حسين شوقى

كانا يسيران على الشاطئ غير مُعتنيين بما حولها وهما يتبادلان هذا الحديث :

هو — عزيزتى ، إنى آسف إذ تأخرت عن موعدك ؛ ولكن صديقاً حميماً لم أره من زمان طويل اعترضنى فى الطريق واستوقفنى ملياً . . .

هى — لا عليك من ذلك ، فليس ثمة ما يدعو للاعتذار

هو — ولكن لماذا أجدك وحدك ؟ لِمَ لَمْ تذهبى إلى السيدة (س) لتأنسى برفقتها ؟

هى — إنى أوثر العزلة ، كى أشهد فى سكون تلك الصفحة الزرقاء العجيبة المنبسطة أمامى . . .

هو — ولكن البحر ثائر اليوم ، إنى لا أحبه فى مثل هذه الحال ؛ إنه ليشبه وجه عجوز قد غضّنته السنون

هى — أنت تراه كذلك ؟ . . . أحسبك زعمت لى مرة أنك تحب البحر وهو هائج ، لأنه يشبه قطيعاً من الخراف البيضاء اللطيفة ! . . . .

هو (فى حيرة) — هل . . . هل تنزلين إلى البحر ؟

هى — نعم ، وأنت ؟ . . .

هو — أنا سأنتظرك فى المقصف ، لأنى على موعد هناك ؛ أتأذنين لى فى الذهاب ؟

هى — الآن ؟ . . .

هو — أجل . . . .

هى — لك ما تشاء ! . . . (ثم افترقا)

الفتاة فى همّ شديد ، لأن صاحبها لم يعد يحبها ؛ إنها لا تشك فى أنه بدأ يملها ، فقديماً لم يكن يسمح لها أن تنزل إلى البحر وحدها وهو كذلك مضطرب مائج ، وهو لم يلاحظ ثوب البحر الجديد الجميل الذى كانت تلبسه ، مع أنه نال إعجاب جميع الذين شاهدوها تخطر به على الشاطئ . . . تنهدت الفتاة قائلة : « آه ! لماذا لم تُخلق القلوب البشرية متشابهة كلها ؟ لماذا خُلق كل قلب يعيش من عواطفه فى دنيا وحده ؟ »

وبينما الفتاة غارقة فى هذا التفكير ، إذ وقع نظرها على أطفال يبنون قلعة من الرمل ، وهم يهللون ويلغطون فرحين . بدّد هذا المنظر البهيج خواطر الحزن التى كانت تستبد بالفتاة ، فوقفت ترقب فى اهتمام عمل الصغار ، ولما انتهى بناء القلعة وضع الأطفال فى كل ناحية منها قطعة من الخشب على شكل مدفع ، ثم اختلفوا على جنسية العلم الذى يرفع على القلعة ، إذ كان كل منهم يحاول أن يرفع رايته ؛ وبعد جدال ومداولة ، اتفقوا على رفع راياتهم جميعاً عليها ونال كلٌّ منها حظه من المجد . عندئذ صاحت الفتاة فى دهشة : ولكن مُلك أى دولة هذه القلعة ؟ فأجابوا ملك جميع الدول

فقالت الفتاة : آه ! ما أمهركم فى السياسة أيها الصغار ! لو أن آباءكم لم يعرفوا الأثرة لأراحوا العالم من مشاكل عدة ؛ ليت رجال السياسة ظلوا أطفالاً . . . ! ولكن ، ها هى ذى موجة عظيمة تطغى على الشاطئ فتبتلع القلعة بمدافعها وراياتها ؛ فوقف الأطفال لحظة واجمين ، ولكن كم كانت دهشة الفتاة عظيمة حينما رأت هذا الوجوم ينقشع بغتة ، ثم هو ينقلب إلى ضحك ومرح ونشاط ، إذ استقر رأيهم على بناء قلعة أخرى من فورهم ، تكون أروع وأفخم من القلعة الأولى . . كم كانت الفتاة تغبط هؤلاء الصغار على تلك السرعة التى سلوا بها أشجانهم ، إنها تعطى كل ما تملك لكى تتمكن أن تستبدل بقلبها الكليم أحد هذه القلوب الغضة ! ثم أخذت تتذكر طفولتها السعيدة أيام كانت آلامها النفسية لا تدوم أكثر من لحظة . .

الفتاة حزينة ، حزينة جداً ، لأن حبها فى دور النزع ، فها هو ذا حبيبها يتأخر عن مواعيده ، وها هو ذا قد بدأ يتمحل بالمعاذير ؛ فهل يكون ذلك إلا المقدمات المألوفة للفراق . . . ؟ الفتاة تذكر فى حسرة وألم مقدار ما كان تعلق حبيبها بها فى بداية حبهما . . وتذكر كيف كان لا يقوى على فراقها لحظة ، حتى أن أحد أقاربه الأعزاء قد مات فلم يشترك فى جنازته حتى لا يفرق ذلك بينهما وقتا ما . . ! وكم زعم لها أن وجودها بجانبه ضرورى له ضرورة الماء للسمك .. والآن ، الآن ، هو يتلمس الأعذار ليبتعد عنها . . !

ما أغلظ قلب هذا الفتى ! إن هذه الأمواج الصاخبة لأرقّ قلباً منه ، وإنها لترحب بالفتاة على حين يفرّ هو منها ! كم تود الأمواج أن تضمّ إلى صدرها تلك الدمية الجميلة ذات الجدائل